دار الحديث بالغيضة
للعلوم الشرعية

مؤلفات ومباحث علوم القرآن لفضيلة الشيخ

آيات الحمد في القرآن

لفضيلة الشيخ
أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الزعكري
حفظه الله تعالى

آيات الحمد في القرآن

آيات الحمد في القرآن

آيات الحمد في القرآن

روابط قنوات فضيلة الشيخ على منصات التواصل

الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ حفظه الله تعالى

https://alzoukory.com.

https://t.me/A_Izoukory

A_Alzoukorys

https://www.youtube.com/channel

https://www.facebook.com/649918028352367

https://chat.whatsapp.com/FgIUKZ0nwzR5EYaguQttSz

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الحديث بالغيضة

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٦م

الطبعة الثانية

نرحب بالاقتراحات ولاستدراكات اللغوية على الأرقام التالية :

٧٧١١٨٠٤٩٢ ٧٧٦٣٨٢٨٢٨

الموقع الرسمي

فيسبوك

تلجرام

يوتيوب

Xمنصة

واتسآب

دار الحديث بالغيضة
للعلوم الشرعية

مؤلفات ومباحث علوم القرآن لفضيلة الشيخ

آيات الحمد في القرآن

لفضيلة الشيخ
أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري
حفظه الله تعالى

By his Eminence Sheikh Abi Muhammad Abdul Hameed bin Yahya Al-Zu'kari.

دار الحديث بالغيضة

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ [الأحزاب:٧٠].

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

افتتح الله عَزَّوَجَلَّ كتابه الكريم بـ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وكان رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفتتح خطبه بالحمد والثناء علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بل جاء في الحديث: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ، أَقْطَعُ**» أخرجه ابن ماجه (١٨٩٤)، وغيره؛ لكن الحديث ضعيف من طريق قرة بن عبد الرحمن.

ويغني عنه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا شَهَادَةٌ، كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ**» أخرجه أبو داود وغيره، وهو حديث ثابت خرَّجه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين.

والتشهد يتضمن الحمد والثناء علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، كما فسره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفعله في جميع خطبه علىٰ ما يأتي في بيان خطبة الحاجة.

ولأهمية هذا الباب رأيت أن يكون درسنا في رمضان لعام ستة وأربعين وأربعمائة وألف.

في بيان ما يتعلق به تذكيرًا بأهمية هذه العبادة وبيان لفضلها، وإشارة إلىٰ مواطنها، ودعوة إلىٰ العمل بها، وتحضيض علىٰ ملازمتها.

والله الهادي إلىٰ سواء السبيل.

كَتَبَهُ

أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ الْحَجُورِيُّ الزُّعْكُرِيُّ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

٢٥/ رجب/ ١٤٤٦هـ

تَعْرِيفُ الْحَمْدِ

(الحمد)هو:"الإخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه"[١].

وهذا أحسن تعريف لها؛ وإلا فإن أكثر العلماء يذهبون في تعريفه إلىٰ أنه: (الثناء علىٰ الله).

وذهب بعضهم إلىٰ أنه: (شكر الله عَزَّوَجَلَّ).

وسيأتي الفرق بينهما إن شاء الله تعالىٰ.

(١) ابن القيم في البدائع (٢/ ٩٣).

مَعْنَى الْحَمْدُ لِلَّهِ

ونجد تحت هذه الكلمة إثبات كل كمال للرب تعالىٰ فعلًا ووصفًا واسمًا، وتنزيهه عن كل سوء وعيب فعلًا ووصفًا واسمًا، فهو محمود في أفعاله وأوصافه وأسمائه، منزهٌ من العيوب والنقائص في: أفعاله، وأوصافه، وأسمائه[١].

كما أن قول: (سبحان الله) يتضمن تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ عن جميع النقائص والعيوب، ويستلزم إثبات جميع المحامد، والكمالات لله عَزَّوَجَلَّ.

وكم يجمع الله عَزَّوَجَلَّ ؛ بل ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بينها، وبين التسبيح لما تقدم بيانه من إثبات الكمالات، والتنزيه عن النقائص بالتضمن والالتزام، فتجد تحت هاتين الكلمتين إثبات كل كمال في: الذات، والصفات، والأفعال، ولتنزه عن كل نقص وعيب في: الذات، والصفات، والأفعال.

(١) بدائع التفسير (١/ ١٢٢).

عِظَمُ شَأْنِ كَلِمَةِ الْحَمْدُ لِلهِ

ولعظم كلمة (الحمد لله) افتتح سبحانه وتعالىٰ بها خمس سور من القرآن: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر علىٰ ما يأتي بيانه.

وقد قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في فضل الكلمتين كما في حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند مسلم (٢٢٣): «**وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**».

وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في حديث أبي سلمىٰ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلْمَىٰ رَاعِي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «**بَخٍ بَخٍ! لَخَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّىٰ فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدَاهُ**».

عند أحمد (٣/ ٤٤٣)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا رَحِمَهُٱللَّهُ.

ويسمع الله لحامده كما في حديث أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند مسلم (٤٠٤) قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَقُولُوا: اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ يَسْمَعُ اللهُ لَكُمْ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قَالَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**».

وأخرج الإمام مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قراءة الفاتحة في الصلاة، وفيه: «**فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:**

حَمِدَنِي عَبْدِي»، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي».

وهي من أحب الكلام إلىٰ الله كما في حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ» أخرجه مسلم (٢١٣٧).

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ» متفق عليه.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ عِشْرِينَ حَسَنَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ عِشْرِينَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً» رواه أحمد (٨٠١٢).

أَصْنَافُ مَا يُحْمَدُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٢٣): "فإنه سبحانه يحمد علىٰ أفعاله كما حمد نفسه عليها في كتابه وحمده عليها رسله وملائكته والمؤمنون من عباده فمن لا فعل له البتة كيف يحمد علىٰ ذلك فالأفعال هي المقتضية للحمد ولهذا تجده مقرونًا بها كقوله:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١-٢].

وكقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف:١]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:١]". اهـ

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسير سورة الفاتحة» (١/ ٣٦٤): "ثم اعلم أن حمد الله تعالىٰ لنفسه حسن لا كحمد المخلوقين لأنفسهم؛ لأن المخلوق لا يخلوا عن نقص، فلا يخلوا مدحه نفسه عن كذب، فيقبح منه أن يمدح نفسه، وأما الله جل جلاله بريء عن النقص والعيب، فكان مدحه نفسه حسنًا". اهـ

الكلام في هذا الباب يكون في بيان:

- (الحمد).
- و(الشكر).
- و(الثناء).

- و(المجد).

- و(المدح).

خمسة ألفاظ بينها تقارب وتداخل.

فذهب ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أن(الحمد لله)؛ هو: الشكر لله سبحانه وتعالىٰ.

ورد هذا التعريف ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» فقال: "وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر؛ لأنه اشتهر عند كثير من المتأخرين أن (الحمد) هو الثناء بالقول علىٰ المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية والشكر لا يكون إلا علىٰ المتعدية ويكون بالجنان واللسان والأركان كما قال الشاعر:

أَفَـادَتْكُمُ النَّعْمَـاءُ مِنِّـي ثَلَاثَـةً يَـدِي وَلِسَـانِي وَالضَّـمِيرَ"

اهـ .

وهذا التعريف الذي ذهب إليه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد رده ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] وبين أن (الثناء) هو (الحمد) إذا تكرر .

فقال: "فإن الإخبار عن المحاسن إما بتكرار، أو لا فإن تكرر فهو الثناء، وإن لم يتكرر فهو (الحمد).

فـ(الثناء) مأخوذ من الثني، وهو العطف ورد الشيء بعضه إلىٰ بعض، ومنه تثنية الثوب، ومنه تثنية الاسم".اهـ

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٩٥).

واستدل علىٰ ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الإمام مسلم (٣٩٥): «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيم﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي**»؛ لأنه كرر الحمد.

وَمِنْ الْفُرُوقِ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ

- **الأول**: أن (الشكر) أعم آلة، فله ثلاث آلات، وهي: القلب واللسان والجوارح، فيكون بالقلب خضوعًا واستكانة.

وباللسان ثناءً واعترافًا.

وبالجوارح طاعةً وانقيادًا.

بينما (الحمد) يكون بجارحتين فقط، فيكون باللسان وبالقلب.

- **الثاني**: (الشكر) يكون علىٰ الصفات المتعدية فقط.

فتقول: شكرته علىٰ إحسانه، وفضله، وعدله.

ولا تقول شكرته علىٰ سمعه، وبصره، وجماله.

بينما (الحمد) يكون علىٰ الصفات المتعدية واللازمة. تقول: حمدته علىٰ جماله وإحسانه وحمدته علىٰ سمعه وبصره[1].

📚 **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "واختلفوا أيهما أعم (الحمد) أم (الشكر) علىٰ قولين والتحقيق أن بينهما عموم وخصوص".

ثم ذكر بنحو ما تقدم من كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) يتصرف من «المدارج» (٢/ ٢٤٦).

وقد تكلم أهل العلم في هذه الفروق، وأجمعها ما قال ابن القيم في «البدائع»:

فنقول الإخبار عن محاسن الغير له ثلاث اعتبارات:

- اعتبار من حيث المخبر به.
- واعتبار من حيث الإخبار عنه بالخبر.
- واعتبار من حيث حال المخبر.

- **فمن حيث الإعتبار الأول ينشأ التقسيم إلىٰ:**

(الحمد والمجد)، فإن المخبر به إما أن يكون من أوصاف العظمة والجلال والسعة وتوابعها.

أو من أوصاف الجمال والإحسان وتوابعها.

فإن كان الأول فهو (المجد)، وإن كان الثاني فهو (الحمد).

وهذا لأن لفظ (م ج د) في لغتهم يدور علىٰ معنىٰ الإتساع والكثرة، فمنه قولهم: أمجد الدابة علفا أي: أوسعها علفا، ومنه مجد الرجل، فهو ماجد إذا كثر خيره وإحسانه إلىٰ الناس، قال الشاعر:

أَنْــتَ تَكُــونُ مَاجِــدٌ نَبِيــلُ إِذَا تَهَــبُّ شَــمْأَلٌ بَلِيــلُ

ومنه قولهم في شجر الغار: واستمجد المرخ والعفار، أي كثرت النار فيهما.

- **ومن حيث اعتبار الخبر نفسه ينشأ التقسيم إلىٰ:**

(الثناء والحمد)، فإن الخبر عن المحاسن إما متكرر، أو لا.

فإن تكرر فهو: (الثناء).

وإن لم يتكرر فهو: (الحمد).

فإن (الثناء) مأخوذ من الثني، وهو العطف، ورد الشيء بعضه علىٰ بعض، ومنه ثنيت الثوب، ومنه التثنية في الإسم فالمثنىٰ مكرر لمحاسن من يثنىٰ عليه مرة بعد مرة.

- **ومن جهة اعتبار حال المخبر ينشأ التقسيم إلىٰ:**

(المدح والحمد)، فإن المخبر عن محاسن الغير إما أن يقترن بإخباره حب له وإجلال أو لا.

فإن اقترن به الحب فهو: (الحمد).

وإلا فهو (المدح)، فحصل هذه الأقسام وميزها. اهـ

بَيَانُ أَنَّ كَلِمَةَ(الْحَمْدُ لِلهِ) مُسْتَغْرِقَةٌ لِكُلِّ كَمَالٍ

واللام في (الحمد) للاستغراق أي: استغراق جميع أجناس (الحمد) وثبوتها لله تعالىٰ تعظيمًا وتمجيدًا. قاله القاسمي في "تفسيره".

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "(الحمد) في كلام العرب، معناه: الثناء الكامل، والألف واللام للإستغراق الجنسي من المحامد؛ فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا"[1]. اهـ

وكل ما شمله سبحانه وتعالىٰ ملكه وقدرته شمله حمده، قاله ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ. اهـ من "طريق الهجرتين".

(١) التفسير (١/ ١٧٧).

التَّفَاضُلُ بَينَ قَولِ (الْحَمْدُ لِلهِ) وَلَا إِلهَ إِلَّا اللهِ

مسألة: اختلف العلماء أيهما أفضل قول: (الحمد لله رب العالمين) أم قول: (لا إله إلا الله):

فقال بعضهم: (**الحمد لله رب العالمين**) أفضل؛ لأن في ضمنه التوحيد الذي هو لا إله إلا الله ففي قوله: (**توحيد وحمد**)، وفي قول: (**لا إله إلا الله**) توحيد فقط، وقالت طائفة (**لا إله إلا الله**) أفضل؛ لأنها تدفع الكفر والإشراك وعليها يقاتل الخلق.

- وهذا القول هو الراجح لعموم أدلة فضل (**لا إله إلا الله**).

بَيَانُ خُطْبَةِ الْحَاجَةِ

في حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٢١١٨) قال: عَلَّمَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةَ الحَاجَةِ: «**إِنَّ الحَمْدَ لِلله نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مَنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يا أيها الذين آمنوا﴿اتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]».

وفي حديث جابر عند مسلم (٨٦٧) قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب الناس ويحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول: «**مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَخَيْرُ الحَدِيثِ كِتَابُ الله**».

وفي رواية: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

وفي حديث ابن عباس عند مسلم (٨٦٨) أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَىٰ يَدَيَّ قَالَ: فَلَقِيَهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَىٰ يَدِي مَنْ شَاءَ فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمَّا بَعْدُ**»[1].

(١) هذه المقدمات مأخوذة مع بعض تعديل وزيادة من كتابي فتح الباري علىٰ شرح سنة للبربهاري (١/ ٢٥-٣١).

مَوَاطِنُ الْحَمْدِ

والمتأمل لعمل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في يومه وليلته، في حضره وسفره، وقبل نومه وحال صحوه، يجد أن مواطن الحمد تكاد تكون مستوعبة لجميع الأوقات والأعمال فمنها:

١- حمد الله في الصباح والمساء.

٢- حمد الله عَزَّوَجَلَّ قبل النوم.

٣- حمد الله بعد الطعام.

٤- حمد الله بعد الشراب.

٥- حمد الله بعد العطاس.

٦- حمد الله عند الركوب في حضر أو سفر.

٧- حمد الله عند اللباس.

٨- حمد الله علىٰ العافية ورؤية المبتلىٰ.

٩- حمد الله في أدبار الصلوات.

١٠- حمد الله عند الانتهاء من المجالس.

١١- حمد الله في أوائل الخطب والكتابات.

١٢- حمد الله عند فقد الولد والمصاب.

١٣- حمد الله قبل الدعاء.

١٤- حمد الله في الصلوات

- **ويكون في مواطن:**

أ- عند افتتاح الصلاة.

ب- في الركوع.

ج- عند الرفع من الركوع، وهو أشهرها.

د- في السجود، وغير ذلك.

أَكْمَلُ صِيَغِ الْحَمْدِ

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة "مواطن الحمد":

وَالْمَعْرُوف من الْحَمد الَّذِي حمد الله بِهِ نَفسه وحمده بِهِ رَسُوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسادات العارفين بِحَمْدِهِ من أمته لَيْسَ فِيهِ هَذَا اللَّفْظ الْبَتَّةَ الْحَمد فِي الْقُرْآن الْكَرِيم كَقَوْلِه تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:١-٤].

وَقَوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٥﴾ [الأنعام:٤٥].

وَقَوله: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ [الزمر:٧٥].

وَقَوله: حِكَايَة عَن الحامدين من عباده أَنهم قَالُوا: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣].

وَقَوله تَعَالَىٰ فِي حَمده لنَفسِهِ الَّذِي أَمر رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن يحمده بِهِ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝١١١﴾ [الإسراء:١١١].

فَهَذَا حَمده الَّذِي أنزلهُ علىٰ عَبده ارْتَضَاهُ لنَفسِهِ، وَأمر رَسُوله أَن يحمده بِهِ وَقَالَ تَعَالَىٰ حامدا لنَفسِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف:١-٢].

وَقَالَ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩].

وَقَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ [سبأ:١].

وَقَالَ:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [فاطر:١].

وَقَالَ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾ [القصص:٧٠].

وَقَالَ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾ [الروم:١٨-١٧].

وَقَالَ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [التغابن:١].

وَقَالَ عَن أهل الْجنَّة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٧٤﴾ [الزمر:٧٤].

وَقَالَ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤﴾ [فاطر:٣٤].

فَهَذَا حَمده لنَفسِهِ الَّذِي أنزلهُ فِي كِتَابه، وَعلمه لِعِبَادِهِ وَأخْبر عَن أهل جنته بِهِ وَهُوَ [أجلُّ] آكِد من كل حمد، وَأفضل وأكمل كَيفَ يبرُّ الْحَالِف فِي يَمِينه

بالعدول [عنه] إِلَىٰ لفظ لم يحمد بِهِ نَفسه، وَلَا ثَبت عَن رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَلَا عَن سَادَات العارفين من أمته.

وَالنَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ إِذا حمد الله فِي الْأَوْقَات الَّتِي يتَأَكَّد فِيهَا الْحَمد لم يكن يذكر هَذَا الْحَمد الْبَتَّةَ كَمَا فِي حمد الْخطْبَة، وَالْحَمْد الَّذِي تستفتح بِهِ الْأُمُور، وكما فِي تشهد الْحَاجة، وكما فِي الْحَمد عقب الطَّعَام وَالشرَاب واللباس وَالْخُرُوج من الْخَلَاء وَالْحَمْد عِنْد رُؤْيَة مَا يسره وَمَا لَا يسره.

فروىٰ الْبُخَارِيّ فِي صَحِيحه عَن أبي أُمَامَة أَن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ إِذا رفع مائدته قَالَ: «**الْحَمد لله حمدا كثيرا طيبا مُبَارَكًا فِيهِ غير مكفي وَلَا مُودع وَلَا مُسْتَغْنىٰ عَنهُ [ربنا]**».

وَفِي لفظ آخر فِي هَذَا الحَدِيث: «**كَانَ إِذا فرغ من طَعَامه قَالَ الْحَمد لله الَّذِي كفانا وآوانا غير مكفي وَلَا مكفور**».

فَلَو كَانَ قَوْله: «**الْحَمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافيء مزيده**» أجل من هَذَا الْحَمد وَأفضل وأكمل؛ لاختاره وَعدل إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لم يكن يخْتَار إِلَّا أفضل الْأُمُور وأجلها وأعلاها.

وَسَأَلت شَيخنَا عَن قَوْله: (غير مكفي) فَقَالَ: الْمَخْلُوق إِذا أنعم عَلَيْك بِنِعْمَة أمكنك أَن تكافيه [تجازيه] بالجزاء أَو بالثناء، وَالله عَزَّوَجَلَّ لَا يُمكن أحدًا من الْعباد أَن يكافيه علىٰ إنعامه أبدا، فَإِن ذَلِك الشُّكْر من نعمه أَيْضا، أَو نَحْو هَذَا من الْكَلَام.

فَأَيْنَ هَذَا من قَوْله فِي الحَدِيث الْمَرْوِيّ عَن آدم: «**حمدا يوافي نعمه ويكافيء مزيده**».

وَقَوْلهمْ: إِن مَعْنَاهُ يلاقي نعمه فَتحصل مَعَ الْحَمد.

كَأَنَّهُمْ أَخَذُوهُ من قَوْلهم: وافيت فلَانا بمَكَان كَذَا وَكَذَا إِذا لاقيته فِيهِ، ووافاني إِذْ لَقِينِي.

وَالْمعْنَىٰ علىٰ هَذَا يلتقي حَمده بنعمه، وَيكون مَعهَا، وَهَذَا لَيْسَ فِيهِ كَبِير أَمر، وَلَا فِيهِ أَن مسبب الْحَمد النعم [وجالبها]، وَإِنَّمَا فِيهِ اقترانه بهَا وملاقاته لَهَا اتِّفَاقًا، وَمَعْلُوم أَن النعم تلاقيها من الْأُمُور الاتفاقية مَا لَا يكون سَببا فِي حُصُولهَا، فَلَيْسَ بَين هَذَا الحَدِيث وَبَين النعم ارتباط يرْبط أَحدهمَا بِالْآخرِ؛ بل فِيهِ مُجَرّد الموافاة والملاقاة، الَّتِي هِيَ أَعم من الاتفاقية والسببية.

وَكَذَلِكَ قَوْلهم (يكافي مزيده)؛ أَي: يكون كفوا لمزيده، وَيقوم بشكر مَا زَاده الله من النعم وَالْإِحْسَان، وَهَذَا يحْتَمل معنىٰ صَحِيحا، وَمعنىٰ فَاسِدا.

فَإِن أُرِيد أَن حمد الله وَالثنَاء عَلَيْهِ وَذكره أجل وَأفضل من النعم الَّتِي أنعم بهَا علىٰ العَبْد من رزقه وعافيته وَصِحَّته والتوسعة عَلَيْهِ فِي دُنْيَاهُ؛ فَهَذَا حق يشْهد لَهُ قَوْله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أنعم الله علىٰ عبد بِنِعْمَة فَقَالَ الْحَمد لله إِلَّا كَانَ مَا أعْطىٰ أفضل مِمَّا أَخذ**» رَوَاهُ ابْن مَاجَه، فَإِن حَمده لوَلِيّ الْحَمد نعْمَة أُخْرَىٰ هِيَ أفضل وأنفع لَهُ وأجدىٰ عائدة من النِّعْمَة العاجلة، فَإِن أفضل النعم وأجلها علىٰ الْإِطْلَاق نعْمَة مَعْرفَته تَعَالَىٰ وحمده وطاعته.

فَإِن أُرِيد أَن فعل العَبْد يكون كفو النعم ومساويا لَهَا بِحَيْثُ يكون مكافئا للنعم عَلَيْهِ وَمَا قَامَ بِهِ من الْحَمد ثمنا لنعمه، وقياما مِنْهُ بشكر مَا أنعم عَلَيْهِ بِهِ وتوفية لَهُ؛ فَهَذَا من أمحل الْمحَال، فَإِن العَبْد لَو أقدره الله علىٰ عباد الثقلَيْن لم يقم بشكر أدنىٰ نعْمَة عَلَيْهِ؛ بل الْأَمر كَمَا روىٰ الإِمَام أَحْمد فِي كتاب الزّهْد حَدثنَا عَن الرَّحْمَن قَالَ ثَنَا الرّبيع ابْن صبيح عَن الحسن قَالَ قَالَ دَاوُد النَّبِي: «**لو أَن لكل شَعْرَة مني لسانين تسبحانك اللَّيْل وَالنَّهَار والدهر كُله مَا قضيت حق نعْمَة وَاحِدَة**».

قَالَ الإِمَام أَحْمد: وَحدثنَا عبد الرَّحْمَن، قَالَ حَدثنَا جَابر بن زيد عَن الْمُغيرَة بن شُعْبَة قَالَ: «**لما أنزل علىٰ دَاوُد اعْمَلُوا آل دَاوُد شكرا وَقَلِيل من عبَادي الشكُور قَالَ يَا رب كَيفَ أُطِيق شكرا وَأَنت الَّذِي تنعم عَليّ ثمَّ ترزقني علىٰ النِّعْمَة الشُّكْر ثمَّ تزيدني نعْمَة بعد نعْمَة فالنعمة مِنْك يَا رب وَالشُّكْر مِنْك فَكيف أُطِيق شكرك قَالَ: الْآن عَرفتنِي يَا دَاوُد فَمن ذَا الَّذِي يقوم بشكر ربه الَّذِي يسْتَحقّهُ سُبْحَانَهُ فضلا عَن أَن يكافيه**».

وَمن هَاهُنَا يعرف قدر الْحَمد الَّذِي صَحَّ عَن رَسُول الله ﷺ من قَوْله: «**غير مكفي وَلَا مُودع وَلَا مُسْتَغْنىً عَنهُ رَبنَا**» وفضله علىٰ الحَدِيث الْمَسْئُول عَنهُ.

وَنحن نشرح الحَدِيث ثمَّ نعود إِلَىٰ الْمَقْصُود فَنَقُول وَبِالله التَّوْفِيق.

روىٰ قَوْله: (**غير مكفي**) بِوَجْهَيْنِ بِالْهَمْز وَعَدَمه وخطئت رِوَايَة الْهَمْز، فَإِنَّهُ اسْم مفعول [إما] من الْكِفَايَة فوجهه: (**غير مكفي**) كمرمي ومقضي.

أَو من المكافاة فالمفعول مِنْهُ مكافًا كـ(مُراما) من راماه ومُساعا من ساعاه.

[أَو من كَفاتُ الإناء بالهمز إذا أقلبته، فالمفعول منه (مكفوء) كـ (مقروء) من قرأت].

[أو من كفاه] يَكْفِيهِ فمفعوله مكفي كمرمي من رميت.

وَالصَّوَاب: أَنه بِغَيْر الْهَمْز.

وَاخْتلف هَل ذَلِك وصف للطعام وعائد عَلَيْهِ، أَو هُوَ حَال من اسْم الله، فَيكون وَصفا [له] فِي الْمَعْنىٰ علىٰ قَوْلَيْنِ:

فَقَالَ ابْن قرقول فِي "مطالعه": المُرَاد بِهَذَا كُله الطَّعَام وَإِلَيْهِ يعود الضَّمِير.

قَالَ الْحَرْبِيّ: [و] المكفي الْإِنَاء المقلوب للاستغناء عَنهُ كَمَا قَالَ غير مُسْتَغْنىٰ عَنهُ وَغير مكفور غير [مجحود] نعْمَة الله فِيهِ؛ بل مشكور غير مَسْتُور الِاعْتِرَاف بهَا وَالْحَمْد عَلَيْهَا.

وَالْقَوْل الثَّانِي: إِن ذَلِك عَائِد إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ.

قَالَ وَذهب الْخطابِيّ إِلَىٰ أَن المُرَاد بِهَذَا كُله الْبَارِي تَعَالَىٰ، وَأَن الضَّمِير يعود إِلَيْهِ، وَأَن معنىٰ قَوْله (**غير مكفي**) أَنه يطعم وَلَا يطعم كَأَنَّهُ هَاهُنَا من الْكِفَايَة.

وَإِلَىٰ هَذَا ذهب غَيره فِي تَفْسِير هَذَا الْحَرْف أَنه [أي أنه] مستغن عَن معِين وظهير.

قَالَ: وَمعنىٰ قَوْله (**وَلَا مُودع**)؛ أَي: غير مَتْرُوك الطّلب إِلَيْهِ وَالرَّغْبَة، وَهُوَ معنىٰ المستغني عَنهُ، وينتصب رَبنَا علىٰ هَذَا بالاختصاص والمدح، أَو تَأْكِيدًا [بالنداء] كَأَنَّهُ قَالَ: يَا رَبنَا اسْمَع حمدنا ودعاءنا.

[و] من رفع قطع وَجعله خَبرا كَأَنَّهُ قَالَ ذَلِك رَبنَا، أَو أَنْت رَبنَا، وَيصِح فِيهِ الْكسر علىٰ الْبَدَل من الِاسْم فِي قَوْله: (**الْحَمد لله**) انْتهىٰ كَلَامه.

وَفِيه قَول ثَالِث: أَن يكون قَوْله (غير مكفي وَلَا مُودع) [صفة] للحمد كَأَنَّهُ قَالَ: «**حمدا كثيرا غير مكفي وَلَا مُودع وَلَا مُسْتَغْنىٰ عَن هَذَا الْحَمد**».

[معنىٰ قَوْله وَلَا مُودع]

وَقَوله: (**وَلَا مُودع**)؛ أَي: غير مَتْرُوك، وعَلىٰ هَذَا القَوْل فَيكون قَوْله: (**غير مكفي**) مَعْنَاهُ غير مَصْرُوف، ومقلوب عَن جِهَته كَمَا يكفأ الْإِنَاء بل حمد علىٰ وَجهه الَّذِي يسْتَحقّهُ ولي الْحَمد وَأَهله ويليق بِهِ، وَلَا يَنْبَغِي لسواه.

[إِعْرَاب وَلَا مُسْتَغْنىٰ عَنهُ رَبنَا]

وَأما إِعْرَاب (**رَبنَا**) فبالوجوه الثَّلَاثَة، وَالْأَحْسَن فِي رَفعه أَن يكون خَبرا مقدما ومبتدأ [مبتدؤه قَوْله]، وَقَوله: (**وَلَا مُسْتَغْنىٰ عَنهُ**).

وَالْأَحْسَن فِي جَرّه أَن يكون بَدَلا من الضَّمِير الْمَجْرُور فِي (عَنهُ) وَالْأَحْسَن فِي نَصبه أَن يكون علىٰ الْمَدْح صفة لاسم الله تَعَالَىٰ.

وَسمعت شَيخنَا تَقِيّ الدّين ابْن تَيْمِية قدس الله روحه يَقُول فِي معنىٰ هَذَا الحَدِيث: الْمَخْلُوق إِذا أنعم عَلَيْك بِنِعْمَة أمكنك أَن تكافيه ونعمه لَا تدوم عَلَيْك؛ بل لَا بُد ويقطعها عَنْك، ويمكنك أَن تَسْتَغْنِي عَنهُ.

وَالله عَزَّوَجَلَّ لَا يُمكن أَن تكافيه علىٰ نعمه، وَإِذا أنعم عَلَيْك أدام نعمه، فَإِنَّهُ هُوَ أغْنىٰ وأقنىٰ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنهُ طرفَة عين هَذَا كَلَامه.

وَالْمَقْصُود ذِكر الْحَمد الَّذِي كَانَ النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يحمد ربه بِهِ فِي مَوَاطِن الْحَمد

وَعَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ أَن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ إِذا فرغ من طَعَامه قَالَ: «**الْحَمد لله الَّذِي أطعمنَا وأسقانا وَجَعَلنَا مُسلمين**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَغَيره.

وَعَن أبي أَيُّوب قَالَ: «**كَانَ رَسُول الله** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **إِذا أكل أَو شرب قَالَ الْحَمد لله الَّذِي أطْعم وَسَقَىٰ وسوغه وَجعل لَهُ مخرجا**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ وَإِسْنَاده صَحِيح.

وَفِي السّنَن أَيْضا عَن معَاذ بن أنس قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من أكل طَعَاما فَقَالَ الْحَمد لله الَّذِي أطعمنَا هَذَا من غير حول مني وَلَا قُوَّة غفر لَهُ مَا تقدم من ذَنبه**» [و] قَالَ التِّرْمِذِيّ حَدِيث حسن.

وَفِي سنَن النَّسَائِيّ عَن عبد الرَّحْمَن بن جُبَير أَنه [حدثه] رجل خدم النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثَمَان سِنِين أَنه كَانَ يسمع النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذا قرب إِلَيْهِ طَعَاما يَقُول: «**بِسم الله**».

وَإِذا فرغ من طَعَامه قَالَ: «**اللَّهُمَّ أطعمت وسقيت وأغنيت وأقنيت وهديت [وأجتبيت]وأحييت فلك الْحَمد علىٰ مَا أَعْطَيْت**» وَإِسْنَاده صَحِيح.

وروىٰ أَبُو دَاوُد فِي السّنَن من حَدِيث عبد الله بن عَمْرو بن الْعَاصِ عَن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنه كَانَ يَقُول فِي الطَّعَام إِذا فرغ: «**الْحَمد لله الَّذِي من علينا وهدانا وَالَّذِي أشبعنا وأروانا**».

وَكَذَلِكَ الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ أهل السّنَن بِالْإِسْنَادِ الصَّحِيح عَن عبد الله بن مَسْعُود قَالَ: علمنَا رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خطْبَة الْحَاجة: «**الْحَمد لله نستعينه وَنَسْتَغْفِرهُ ونعوذ بِالله من شرور أَنْفُسنَا من يهده الله فَلَا مضل لَهُ وَمن يضلل الله فَلَا هادي لَهُ وَأشْهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَأشْهد أَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله اتَّقوا الله الَّذِي تسْأَلُون بِهِ والأرحام إِن الله كَانَ عَلَيْكُم رقيبا يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا اتَّقوا الله حق تُقَاته وَلَا تموتن إِلَّا وَأَنْتُم مُسلمُونَ يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا اتَّقوا الله وَقُولُوا قولا سديدا يصلح لكم أَعمالكُم وَيغْفر لكم ذنوبكم وَمن يطع الله وَرَسُوله فقد فَازَ فوزا عظميا**».

– وَشرع النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لمن رأىٰ مبتلىٰ أَن يَقُول مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَن أبي هُرَيْرَة عَن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنه قَالَ: «**من رأىٰ مبتلىٰ فَقَالَ الْحَمد لله الَّذِي عافاني مِمَّا ابتلاك بِهِ وفضلني علىٰ كثير مِمَّن خلق تَفْضِيلًا لم يصبهُ ذَلِك الْبلَاء**» قَالَ التِّرْمِذِيّ حَدِيث حسن. وَرُوِيَ نَحوه عَن عمر.

- وَشرع النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للقائم من الْمجْلس أَن يَقُول مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَة عَنهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من جلس فِي مجْلِس فَكثر فِيهِ لغطه فَقَالَ قبل أَن يقوم من مَجْلِسه «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك أشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا أَنْت أستغفرك وَأَتُوب إِلَيْك**» إِلَّا غفر لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسه ذَلِك قَالَ التِّرْمِذِيّ حَدِيث حسن صَحِيح.

وَشرع صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للعاطس أَن يَقُول مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد بِإِسْنَاد صَحِيح عَن أبي هُرَيْرَة أَن النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذا عطس أحدكُم فَلْيقل الْحَمد لله علىٰ كل حَال وَليقل أَخُوهُ أَو صَاحبه يَرْحَمك الله وَيَقُول هُوَ يهديكم الله وَيصْلح بالكم**».

وَفِي جَامع التِّرْمِذِيّ عَن ابْن عمر أَن رجلا عطس إِلَىٰ جنبه فَقَالَ: الْحَمد لله وَالصَّلَاة وَالسَّلَام علىٰ رَسُول الله.

فَقَالَ ابْن عمر وَأَنا أَقُول الْحَمد لله وَالسَّلَام علىٰ رَسُول الله وَلَيْسَ هَكَذَا علمنَا رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَن نقُول: الْحَمد لله علىٰ كل حَال.

- وَكَذَلِكَ شرع لأمته عِنْد ركُوب الدَّابَّة مَا رَوَاهُ أهل السّنَن بِالْإِسْنَادِ الصَّحِيح عَن عَليّ بن ربيعَة قَالَ: شهِدت عَليّ بن أبي طَالب أُتِي بِدَابَّة ليرْكبهَا، فَلَمَّا وضع رجله فِي الركاب قَالَ: «**بِسم الله**»، فَلَمَّا اسْتَوَىٰ علىٰ ظهرهَا قَالَ: «**الْحَمد لله الَّذِي سخر لنا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقرنين وَإِنَّا إِلَىٰ رَبنَا لمنقلبون**».

ثمَّ قَالَ: «**الْحَمد لله ثَلَاث مَرَّات ثمَّ قَالَ الله أكبر ثَلَاث مَرَّات**» ثمَّ قَالَ: «**سُبْحَانَكَ ظلمت نَفسِي فَاغْفِر لي إِنَّه لَا يغْفر الذُّنُوب إِلَّا أَنْت**» ثمَّ ضحك.

فَقَالَ فَقلت يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ من أَي شَيْء ضحِكت قَالَ: رَأَيْت النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل كَمَا فعلت ثمَّ ضحك فَقلت: يَا رَسُول الله من أَي شَيْء ضحِكت قَالَ: «**إِن رَبك سُبْحَانَهُ يعجب من عَبده إِذا قَالَ اغْفِر لي ذُنُوبِي يعلم أَنه لَا يغْفر الذُّنُوب غَيْرِي**».

وروىٰ ابْن مَاجَه فِي سننه عَن عَائِشَة قَالَت كَانَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذا رأىٰ مَا يُحِبهُ قَالَ: «**الْحَمد لله الَّذِي بنعمته تتمّ الصَّالِحَات**»، وَإِذا رأىٰ مَا يكره قَالَ الْحَمد لله علىٰ كل حَال قَالَ الْحَاكِم هَذَا حَدِيث صَحِيح الْإِسْنَاد.

[و] فِي صَحِيح مُسلم عَن عَليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذا رفع رَأسه قَالَ: «**سمع الله لمن حَمده رَبنَا لَك الْحَمد ملْء السَّمَوَات وملء الأَرْض وملء مَا شِئْت من شَيْء بعد**».

وَفِيه عَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ أَن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ إِذا رفع رَأسه من الرُّكُوع قَالَ: «**اللَّهُمَّ رَبنَا لَك الْحَمد ملْء السَّمَوَات وملء الأَرْض وملء مَا شِئْت من شَيْء بعد أهل الثَّنَاء وَالْمجد أَحَق مَا قَالَ العَبْد كلنا لَك عبد اللَّهُمَّ لَا مَانع لما أَعْطَيْت وَلَا معطي لما منعت وَلَا ينفع ذَا الْجد مِنْك الْجد**».

وروىٰ البُخَارِيّ فِي صَحِيحه عَن رِفَاعَة بن رَافع الزرقي قَالَ: كُنَّا نصلي وَرَاء النَّبِي ،صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رفع رَأسه من الرُّكُوع قَالَ: «**سمع الله لمن حَمده**» قَالَ رجل وَرَاءه: «**رَبنَا لَك الْحَمد حمدا كثيرا طيبا مُبَارَكًا فِيهِ**» فَلَمَّا انْصَرف قَالَ من الْمُتَكَلّم قَالَ:أَنا. قَالَ: قد رَأَيْت بضعَة وَثَلَاثِينَ ملكا يبتدرونها أَيهمْ يَكْتُبهَا أول.

وَفِي صَحِيح البُخَارِيّ وَمُسلم عَن ابْن عَبَّاس أَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذا قَامَ من اللَّيْل يُصَلِّي يَقُول: «**اللَّهُمَّ لَك الْحَمد أَنْت نور السَّمَوَات وَالْأَرْض وَمن فِيهِنَّ وَلَك الْحَمد أَنْت قيوم السَّمَوَات وَالْأَرْض وَمن فِيهِنَّ وَلَك الْحَمد أَنْت الْحق وَوَعدك حق ولقاؤك حق وَالْجنَّة حق وَالنَّار حق والنبيون حق**» الحَدِيث.

وَفِي صَحِيح مُسلم عَن عبد الله بن عمر قَالَ بَيْنَمَا نَحن نصلي مَعَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رجل: «**الله أكبر كَبِيرا وَالْحَمْد لله كثيرا وَسُبْحَان الله بكرَة وَأَصِيلا**» فَقَالَ :النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من الْقَائِل كَذَا وَكَذَا**» فَقَالَ رجل من الْقَوْم: أَنا قلتهَا يَا رَسُول الله. قَالَ: «**عجبت لَهَا فتحت لَهَا أَبْوَاب السَّمَاء**».

قَالَ ابْن عمر: فَمَا تركتهن مُنْذُ سَمِعت رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولهن.

وَفِي السّنَن عَن رِفَاعَة بن رَافع قَالَ صليت خلف النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعطست فَقلت: «**الْحَمد لله حمدا كثير طيبا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يحب رَبنَا ويرضىٰ**».

فَلَمَّا صلىٰ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصَرف فَقَالَ: من الْمُتَكَلّم فِي الصَّلَاة فَلم يجبهُ أحد ثمَّ قَالَهَا الثَّانِيَة من الْمُتَكَلّم فِي الصَّلَاة فَقَالَ رِفَاعَة بن رَافع: أَنا يَا رَسُول الله .قَالَ «**كَيفَ قلت**»: قَالَ قلت: «**الْحَمد لله حمدا كثيرا طيبا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يحب رَبنَا ويرضىٰ**».

فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لقد ابتدرها بضعَة وَثَلَاثُونَ ملكا أَيهمْ يصعدبها**».

قَالَ التِّرْمِذِيّ حَدِيث حسن

وَفِي سنَن أبي دَاوُد عَن عَامر بن ربيعَة قَالَ عطس شَاب من الْأَنْصَار خلف رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الصَّلَاة فَقَالَ: «**الْحَمد لله حمدا كثيرا طيبا مُبَارَكًا فِيهِ حَتَّىٰ يرضىٰ رَبنَا وَبعد مَا يرضىٰ من أَمر الدُّنْيَا وَالْآخِرَة**».

فَلَمَّا انْصَرف رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**من الْقَائِل الْكَلِمَة**» فَسكت الشَّاب ثمَّ قَالَ: «**من الْقَائِل الْكَلِمَة فَإِنَّهُ لم يقل باسا**» فَقَالَ: يَا رَسُول الله: أَنا قلتهَا لم أرد بهَا إِلَّا خيرا.

فَقَالَ: «**مَا تناهت دون عرش الرَّحْمَن جلّ ذكره**».

وَفِي مُسْند الإِمَام أَحْمد عَن وَائِل بن حجر قَالَ صليت مَعَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رجل: «**الْحَمد لله حمدا كثيرا طيبا مُبَارَكًا فِيهِ**» فَلَمَّا صلىٰ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ: «**من الْقَائِل**».

قَالَ: الرجل أَنا يَا رَسُول الله وَمَا أردْت إِلَّا الْخَيْر، فَقَالَ: «**لَقَدْ فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَلَمْ يُنَهْنَهَا دُونَ الْعَرْشِ**».

وَثَبت عَنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّحِيح أَنه كَانَ يَقُول: فِي اعتداله بعد الرُّكُوع فِي صَلَاة اللَّيْل «**لرَبي الْحَمد لرَبي الْحَمد وَكَانَ قيَاما طَوِيلا**».

وَشرع لأمته فِي هَذَا الْموضع وَفِي غَيره أفضل الْحَمد وأكمله، فَلَو كَانَ قَول الْقَائِل «**الْحَمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافِي مزيده**» أفضل الْحَمد لَكَانَ أولىٰ الْمَوَاضِع بِهِ هَذَا الْموضع، وَمَا أشبهه فيا سُبْحَانَ الله! لَا يَأْتِي عَنهُ هَذَا الْحَمد

الْأَكْمَل الْأَفْضَل الْجَامِع فِي مَوضِع وَاحِد الْبَتَّةَ لَا قولا وَلَا تَعْلِيما، وَلَا يَقُوله أحد من الصَّحَابَة وَلَا يعرف عَنْهُم فِي خطْبَة وَلَا تشهد حَاجَة وَلَا عقيب الطَّعَام وَالشرَاب، وَإِنَّمَا الَّذِي جَاءَ عَنْهُم حمد هُوَ دونه فِي الْفَضِيلَة والكمال هَذَا من الْمحَال!.

وَكَذَلِكَ حمد الْمَلَائِكَة لَهُ سُبْحَانَهُ كَمَا فِي صَحِيح مُسلم عَن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِي لَيْلَة أسرِي بِهِ بقدح من خمر وقدح من لبن فَقَالَ جِبْرِيل فَنظر إِلَيْهِمَا فَأخذ اللَّبن فَقَالَ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام: «**الْحَمد لله الَّذِي هداك للفطرة لَو أخذت الْخمر غوت أمتك**».

وَكَذَلِكَ حمد الصَّحَابَة لَهُ سُبْحَانَهُ كَمَا فِي صَحِيح البُخَارِيّ أَن عمر بن الْخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما طعن أرسل ابْنه عبد الله إِلَىٰ عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يستأذنها أَن يدْفن مَعَ صَاحِبيهِ فَلَمَّا أقبل عبد الله قَالَ عمر: مَا لديك. قَالَ: الَّذِي يحب أَمِير الْمُؤمنِينَ أَذِنت قَالَ: «**الْحَمد لله مَا كَانَ شَيْء أهم إِلَيّ من ذَلِك**».

وروىٰ ابْن مَاجَه فِي سننه أَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذا خرج من الخلا قَالَ: «**الْحَمد لله الَّذِي أذهب عني الْأَذَىٰ وعافاني**».

وَفِي مُعْجم الطَّبَرَانِيّ عَن ابْن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذا خرج قَالَ: «**الْحَمد لله الَّذِي أذاقني لذته [وأبقىٰ فيَّ قوته]وَدفع عني أَذَاهُ**».

وَعَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذا استجد ثوبا سَمَّاهُ باسمه عِمَامَة أَو قَمِيصًا أَو رِدَاء ثمَّ يَقُول: «**اللَّهُمَّ لَك الْحَمد أَنْت كسوتنيه أَسأَلك خَيره وَخير مَا صنع لَهُ وَأَعُوذ بك من شَره وَشر مَا صنع لَهُ**».

رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ وَإِسْنَاده صَحِيح قَالَ التِّرْمِذِيّ حَدِيث حسن.

وَفِي التِّرْمِذِيّ عَن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعت رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**من لبس ثوبا جَدِيدا فَقَالَ الْحَمد لله الَّذِي كساني مَا أواري بِهِ عورتي وأتجمل بِهِ فِي حَيَاتِي ثمَّ [عَمِدَ] إِلَىٰ الثَّوْب الَّذِي أخلق، فَتصدق بِهِ كَانَ فِي حفظ الله، وَفِي كنف الله وَفِي سَبِيل الله حَيا وَمَيتًا**».

وَفِي مُسْند الإِمَام أَحْمد من حَدِيث معَاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**من أكل طَعَاما فَقَالَ الْحَمد لله الَّذِي أَطْعمنِي هَذَا ورزقنيه من غير حول مني وَلَا قُوَّة غفر لَهُ [الله] مَا تقدم من ذَنبه وَمن لبس ثوبا فَقَالَ الْحَمد لله الَّذِي كساني هَذَا ورزقنيه من غير حول مني وَلَا قُوَّة غفر الله لَهُ مَا تقدم من ذَنبه**».

وَفِي جَامع التِّرْمِذِيّ عَن عَليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ أَكثر دُعَاء النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْم عَرَفَة فِي المواقف: «**اللَّهُمَّ لَك الْحَمد كَالَّذي نقُول وَخير مِمَّا نقُول اللَّهُمَّ لَك صَلَاتي ونسكي ومحياي ومماتي وَإِلَيْك مَالِي وَلَك رب تراثي اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذ بك من عَذَاب الْقَبْر ووسوسة الصَّدْر وشتات الْأَمر اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذ بك من شَرّ مَا تَجِيء بِهِ الرّيح**».

وَفِي أثر آخر مَعْرُوف: «**اللَّهُمَّ لَك الْحَمد كُله وَلَك الْملك كُله وبيدك الْخَيْر كُله وَإِلَيْك يرجع الْأَمر كُله عَلَانِيَته وسره وَأَنت أهل الْحَمد**».

وَهَذَا من أجمع الْحَمد وَأحسنه، وَقد علم النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته الْحَمد الْمُفْرد والمضاعف، فَلم يعلمهُمْ فِي شَيْء مِنْهُ هَذَا الْحَمد الْمَسْئُول عَنهُ.

وَفِي صَحِيح مُسلم عَن سعد بن أبي وَقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِي إِلَىٰ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عَلمنِي كَلَاما أقوله قَالَ: «**لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ الله أكبر كَبِيرا وَالْحَمْد لله كثيرا وَسُبْحَان الله رب الْعَالمين لَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِالله الْعَزِيز الْحَكِيم**» قَالَ: هَؤُلَاءِ لرَبي فَمَا لي. قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِر لي وارحمني واهدني وارزقني**».

وَفِي السّنَن عَن سعد بن أبي وَقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنه دخل مَعَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ امْرَأَة بَين يَديهَا نوىٰ أَو حَصىٰ تسبح بِهِ فَقَالَ: «**أُخْبرك بِمَا هُوَ أيسر عَلَيْك من هَذَا وَأفضل سُبْحَانَ الله عدد مَا خلق فِي السَّمَاء سُبْحَانَ الله عدد مَا خلق فِي الأَرْض وَسُبْحَان الله عدد مَا بَين ذَلِك وَسُبْحَان الله عدد مَا هُوَ خَالق وَالله أكبر مثل ذَلِك وَالْحَمْد لله مثل ذَلِك وَلَا إِلَه إِلَّا الله مثل ذَلِك وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِالله مثل ذَلِك**».

فَلَو كَانَ: (**الْحَمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده**) أفضل من هَذَا لعلمه إِيَّاهَا.

وَفِي صَحِيح مُسلم عَن سَمُرَة بن جُنْدُب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أحب الْكَلَام إِلَىٰ الله أَربع سُبْحَانَ الله وَالْحَمْد لله وَلَا إِلَه إِلَّا الله وَالله أكبر وَلَا يضر بأيهن بدأت**».

وَلَو كَانَ (**الْحَمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده**) أفضل من هَذَا لَكَانَ أحب إِلَىٰ الله مِنْهُ.

وَفِي صَحِيح مُسلم أَيْضا عَن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِأَن أَقُول سُبْحَانَ الله وَالْحَمْد لله وَلَا إِلَه إِلَّا الله وَالله أكبر أحب إِلَيّ مِمَّا طلعت عَلَيْهِ الشَّمْس**».

وروىٰ إِسْرَائِيل عَن أبي سِنَان عَن أبي صَالح عَن أبي سعيد وَأبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إِن الله اصْطفىٰ من الْكَلَام سُبْحَانَ الله وَالْحَمْد لله وَلَا إِلَه إِلَّا الله وَالله أكبر فَإِذا قَالَ العَبْد سُبْحَانَ الله كتب لَهُ عشْرين حَسَنَة أَو حط عَنهُ عشْرين سَيِّئَة فَإِذا قَالَ الله أكبر فَمثل ذَلِك فَإِذا قَالَ لا إِلَه إِلَّا الله فَمثل ذَلِك وَإِذا قَالَ الْحَمد لله رب الْعَالمين من قبل نَفسه كتبت لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَة وَحط عَنهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَة**».

وَفِي صَحِيح مُسلم عَن أبي مَالك الْأَشْعَرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه كَانَ يَقُول: «**الطّهُور شطر الْإِيمَان وَالْحَمْد لله تملأ الْمِيزَان وَسُبْحَان الله وَالْحَمْد لله تملآن أَو تملأ مَا بَين السَّمَاء وَالْأَرْض وَالصَّلَاة نور وَالصَّدَقَة برهَان وَالصَّبْر**

ضِيَاء وَالْقُرْآن حجَّة لَك أَو عَلَيْك كل النَّاس يَغْدُو فبائع نَفسه فموبقها أَو مبتاعها فمعتقها».

وَقد روىٰ ابْن ماجه وَالتِّرْمِذِيّ من حَدِيث طَلْحَة بن خرَاش بن عمر عَن جَابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعت رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**أفضل الذّكر لَا إِلَه إِلَّا الله وَأفضل الدُّعَاء الْحَمد لله**».

وَسُئِلَ ابْن عُيَيْنَة عَن هَذَا الحَدِيث فَقيل: لَهُ كَأَن الْحَمد لله دُعَاء فَقَالَ: أما سَمِعت قَول أُميَّة ابْن أبي الصَّلْت لعبد الله بن جدعَان يَرْجُو [نائلة]:

أأذكر حَاجَتي أم قد كفاني ... حباؤك إِن شيمتك الْحيَاء
إِذا أثني عَلَيْك الْمَرْء يَوْمًا ... كَفاهُ من تعرضه الثَّنَاء
كريم لَا يُغَيِّرهُ صباح ... عَن الْخُلق الْجَمِيل وَلَا مسَاء

فَهَذَا مَخْلُوق اكْتفىٰ من مَخْلُوق بالثناء عَلَيْهِ، فَكيف بالخالق سُبْحَانَهُ.

قلت: الدُّعَاء يُرَاد بِهِ دُعَاء الْمَسْأَلَة وَدُعَاء الْعِبَادَة، والمثني علىٰ ربه بِحَمْدِهِ [وآلائه] دَاع لَهُ بالاعتبارين، فَإِنَّهُ طَالب مِنْهُ طَالب لَهُ فَهُوَ الدَّاعِي حَقِيقَة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٥].

وروىٰ ابْن مَاجَه فِي سنَنه من حَدِيث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَن رَسُول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حدثهمْ «أَن عبدا من عباد الله قَالَ: يَا رب لَك الْحَمد كَمَا يَنْبَغِي لجلال وَجهك ولعظيم سلطانك، فعظمت بالملكين فَلم يدريا كَيفَ يكتبانها**

فصعدا إِلَىٰ السَّمَاء فَقَالَ يارب إِن عَبدك قَالَ مقَالَة لَا ندري كَيفَ نكتبها قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ وَهُوَ أعلم بِمَا قَالَ عَبده.

مَاذَا قَالَ: عَبدِي.

قَالَا: يارب إِنَّه قَالَ يَا رب لَك الْحَمد كَمَا يَنْبَغِي لجلال وَجهك وعظيم سلطانك.

فَقَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: اكتباها كَمَا قَالَ عَبدِي حَتَّىٰ يلقاني فأجزيه بهَا ».

وَفِي سنَن ابْن مَاجَه أَيْضا من حَدِيث مُحَمَّد بن ثَابت عَن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُول: «الْحَمد الله علىٰ كل حَال أعوذ بِالله من حَال أهل النَّار».

وَفِي مُسْند ابْن أبي شيبَة عَن أبي هُرَيْرَة أَن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مر بِهِ وَهُوَ يغْرس [غراسا].

فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَة مَا الَّذِي تغرس.

قلت: غراسا.

قَالَ: أَلا أدلك علىٰ غراس خير من هَذَا سُبْحَانَ الله وَالْحَمْد الله وَلَا إِلَه إِلَّا الله وَالله أكبر تغرس بِكُل وَاحِدَة شَجَرَة فِي الْجنَّة».

وَفِي سنَن ابْن مَاجَه عَن أبي الدَّرْدَاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ قَالَ لي رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «عَلَيْك بسبحان الله وَالْحَمْد لله وَلَا إِلَه إِلَّا الله وَالله أكبر فَإِنَّهَا يَعْنِي تحط الْخَطَايَا كَمَا تحط الشَّجَرَة وَرقهَ ».

وَفِي التِّرْمِذِيّ عَن ابْن مَسْعُود عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ لقِيت إِبْرَاهِيم لَيْلَة أسرِي بِي فَقَالَ يَا مُحَمَّد أقريء أمتك السَّلَام وَأخْبرهمْ أَن الْجنَّة طيبَة التربة عذبة المَاء وَأَنَّهَا قيعان وَأَن غراسها سُبْحَانَ الله وَالْحَمْد لله وَلَا إِلَه إِلَّا الله وَالله أكبر**». قَالَ التِّرْمِذِيّ حَدِيث حسن.

وَالَّذِي حفظ من تحميد النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المجامع الْعِظَام كخطبة الْجُمُعَة وَالْخطْبَة فِي الْحَج عِنْد الْجَمْرَة وخطبة الْحَاجة: «**الْحَمد لله نحمده ونستعينه وَنَسْتَغْفِرهُ ونعوذ بِالله من شرور أَنْفُسنَا من يهده الله فَلَا مضل لَهُ وَمن يضلل فَلَا هادي لَهُ وَأشْهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَأشْهد أَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله**»، وفيهَا كلهَا أشبه بِلَفْظ الْإِفْرَاد ونستعينه بِلَفْظ الْجمع ونحمده وَنَسْتَغْفِرهُ بِلَفْظ الْجمع.

فَقَالَ شيخ الْإِسْلَام أَبُو الْعَبَّاس ابْن تَيْمِية قدس الله روحه: لما كَانَ العَبْد قد يسْتَغْفر لَهُ ويستعين لَهُ وَلغيره حَسُنَ لفظ الْجمع فِي ذَلِك، وَأما الشَّهَادَة لله بالوحدانية وَلِرَسُولِهِ بالرسالة فَلَا يَفْعَلهَا أحد عَن غَيره، وَلَا تقبل [النيابة] الشَّهَادَة بِوَجْه من الْوُجُوه، وَلَا تتَعَلَّق شَهَادَة الْإِنْسَان بِشَهَادَة غَيره، والمتشهد لَا يتَشَهَّد إِلَّا عَن نَفسه. هَذَا معنىٰ كَلَامه.

فَهَذِهِ جمل مواقع الْحَمد فِي كَلَام الله وَرَسُوله وَأَصْحَابه وَالْمَلَائِكَة قد جليت عَلَيْك عرائسها وجُلبت عَلَيْك نفائسها، فَلَو كَانَ الحَدِيث الْمَسْئُول عَنهُ أفضلهَا

وأكملها وأجمعها كَمَا ظَنّه الظَّان لَكَانَ وَاسِطَة عقدهَا فِي النظام، وأكثرها اسْتِعْمَالا فِي حمد ذِي الْجلَال وَالْإِكْرَام.

فَالْحَمْد لله بمحامده الَّتِي حمد بهَا نَفسه وحمده بهَا الَّذين اصْطفىٰ حمدا طيبا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يحب رَبنَا، ويرضىٰ وَصلىٰ الله علىٰ [نبينا] مُحَمَّد النَّبِي الْأُمِّي وَآله وَصَحبه وَسلم.اهـ

آيَاتُ الْحَمْدِ فِي الْقُرْآنِ

١- ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:١-٧].

افتتح الله كتابه الكريم بحمد نفسه المقدسة بجميع أنواع المحامد حمدًا وثناءً ومجدًا ومدحًا وشكرًا، وذلك لعظيم شأنه وعظيم صفاته، فهو المحمود أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وهو المحمود بلسان الحال والمقال، ومن هذا يظهر تعين حمد الله عَزَّوَجَلَّ في البدايات والنهايات، وأنه من أرجىٰ الأعمال الزكيات لنيل المطلوب والسلامة من المرهوب، ولذلك حين خرج رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للاستسقاء حمد الله بها قبل دعائه، وتوسل بها لتحقيق رجائه.

ففي سنن أبي داود (١١٧٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: شَكَا النَّاسُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ، فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّىٰ، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَعَدَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، فَكَبَّرَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَحَمِدَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ**».

ثُمَّ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَىٰ حِينٍ**».

ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّىٰ بَدَا بَيَاضُ إِبِطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَىٰ النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ، أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ وَنَزَلَ، فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللهِ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّىٰ سَالَتِ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَىٰ سُرْعَتَهُمْ إِلَىٰ الْكِنِّ ضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: «**أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**».

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قال أبو جعفر بن جرير: معنىٰ (الحمد لله) الشكر لله خالصا دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم علىٰ عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم من نعيم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلىٰ دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم، فلربنا الحمد علىٰ ذلك كله أولا وآخرا". اهـ

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وْلُهُ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لَفْظُهُ خَبَرٌ كَأَنَّهُ يُخْبِرُ أَنَّ الْمُسْتَحِقَّ لِلْحَمْدِ هُوَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَفِيهِ تَعْلِيمُ الْخَلْقِ تَقْدِيرَهُ قُولُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ يَكُونُ

بِمَعْنَىٰ الشُّكْرِ عَلَىٰ النِّعْمَةِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَىٰ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ.

يُقَالُ: حَمِدْتُ فُلَانًا عَلَىٰ مَا أَسْدَىٰ إِلَيَّ مِنَ النِّعْمَةِ وَحَمِدْتُهُ عَلَىٰ عِلْمِهِ وَشَجَاعَتِهِ، وَالشُّكْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَىٰ النِّعْمَةِ، فَالْحَمْدُ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ إِذْ لَا يُقَالُ شَكَرْتُ فُلَانًا عَلَىٰ عِلْمِهِ فَكُلُّ حَامِدٍ شَاكِرٌ وَلَيْسَ كُلُّ شَاكِرٍ حَامِدًا.

وَقِيلَ: الْحَمْدُ بِاللِّسَانِ قَوْلًا وَالشُّكْرُ بِالْأَرْكَانِ فِعْلًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء:١١١].

وَقَالَ: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ:١٣]". اهـ

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في التفسير القيم: "اعلم أن هذه السورة اشتملت علىٰ أمهات المطالب العالية أتم اشتمال وتضمنتها أكمل تضمن.

فاشتملت علىٰ التعريف بالمعبود تبارك وتعالىٰ بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنىٰ والصفات العليا إليها، ومدارها عليها. وهي: «الله، والرب، والرحمن وبنيت السورة علىٰ الإلهية والربوبيّة والرحمة. فـ(**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**) مبنىٰ علىٰ الإلهية. وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ علىٰ الربوبيّة وطلب الهداية إلىٰ الصراط المستقيم بصفة الرحمة.

و(الحمد) يتضمن الأمور الثلاثة: فهو المحمود في إلهيته، وربوبيته، ورحمته، والثناء والمجد كمالان لِجَدِّهِ.

وتضمنت إثبات المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيئها.

وتفرّد الرب تعالىٰ بالحكم إذ ذاك بين الخلائق، وكون حكمه بالعدل. وكل هذا تحت قوله: مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ". اهـ

٢- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠].

فيها بيان أن الملائكة مسخرة لتسبيح الله وحمده، وهذه من أظهر أعمالهم وأفعالهم قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أضواء البيان: "وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ إِثْبَاتُ التَّسْبِيحِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ كُلٌّ عَلَىٰ حِدَةٍ.

- **أَوَّلًا: تَسْبِيحُ اللَّهِ تَعَالَى نَفْسَهُ:**

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١]، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم:١٧-١٨] ، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء:٢٢].

- **ثَانِيًا: تَسْبِيحُ الْمَلَائِكَةِ:**

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠].

وَقَوْلُهُ:﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر:٧٥].

وَ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:٢٠].

- **ثَالِثًا: تَسْبِيحُ الرَّعْدِ:**

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الرعد:١٣].

- **رَابِعًا: تَسْبِيحُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَالْأَرْضِ:**

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [الإسراء:٤٤].

- **خَامِسًا: تَسْبِيحُ الْجِبَالِ:**

﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨﴾ [ص:١٨].

- **سَادِسًا: تَسْبِيحُ الطَّيْرِ:**

﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾ [الأنبياء:٧٩].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ [الحشر:١].

- **سَابِعًا: تَسْبِيحُ الْإِنْسَانِ:**

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨﴾ [الحجر:٩٨] ، ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [الواقعة:٧٤] ، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾ [مريم:١١].

فَهَذَا إِسْنَادُ التَّسْبِيحِ صَرَاحَةً لِكُلِّ هَذِهِ الْعَوَالِمِ مُفَصَّلَةً وَمُبَيَّنَةً، وَاضِحَةً.

وَجَاءَ مِثْلُ التَّسْبِيحِ، وَنَظِيرُهُ وَهُوَ السُّجُودُ مُسْنَدًا لِعَوَالِمَ أُخْرَىٰ وَهِيَ بَقِيَّةُ مَا فِي هَذَا الْكَوْنِ مِنْ أَجْنَاسٍ وَأَصْنَافٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [الحج:١٨].

وَيُلَاحَظُ هُنَا أَنَّهُ تَعَالَىٰ أَسْنَدَ السُّجُودَ أَوَّلًا لِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَ (مَنْ) هِيَ لِلْعُقَلَاءِ أَيْ: الْمَلَائِكَةُ، وَالْإِنْسُ، وَالْجِنُّ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَىٰ الْعُقَلَاءِ غَيْرَ الْعُقَلَاءِ بِأَسْمَائِهِنَّ مِنَ الشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ، وَالنُّجُومِ، وَالْجِبَالِ،

وَالشَّجَرِ، وَالدَّوَابِّ فَهَذَا شُمُولٌ لَمْ يَبْقَ كَائِنٌ مِنَ الْكَائِنَاتِ، وَلَا ذَرَّةٌ فِي فَلَاةٍ إِلَّا شَمَلَهُ.

وَبَعْدَ بَيَانِ هَذَا الشُّمُولِ وَالْعُمُومِ يَأْتِي مَبْحَثُ الْعَامِّ الْبَاقِي عَلَىٰ عُمُومِهِ، وَالْعَامُّ الْمَخْصُوصُ، وَهَلْ عُمُومُ (مَا) هُنَا بَاقٍ عَلَىٰ عُمُومِهِ أَمْ دَخَلَهُ تَخْصِيصٌ؟

قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْعُمُومَ بَاقٍ عَلَىٰ عُمُومِهِ، وَإِنَّ لَفْظَ التَّسْبِيحِ مَحْمُولٌ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ فِي التَّنْزِيهِ وَالتَّحْمِيدِ.

وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّ الْعُمُومَ بَاقٍ عَلَىٰ عُمُومِهِ لَمْ يَدْخُلْهُ خُصُوصٌ، وَلَكِنَّ التَّسْبِيحَ يَخْتَلِفُ، وَلِكُلٍّ تَسْبِيحٍ بِحَسْبِهِ فَمِنَ الْعُقَلَاءِ بِالذِّكْرِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّمْجِيدِ كَالْإِنْسَانِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ، وَمِنْ غَيْرِ الْعَاقِلِ سَوَاءٌ الْحَيَوَانُ وَالطَّيْرُ، وَالنَّبَاتُ، وَالْجَمَادُ، فَيَكُونُ بِالدَّلَالَةِ بِأَنْ يَشْهَدَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَيَدُلَّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَالِقٌ قَادِرٌ". اهـ

٣- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام:١-٣].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: "هذا إخبار عن حمده والثناء عليه بصفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال عموما، وعلىٰ هذه المذكورات خصوصا.

فحمد نفسه علىٰ خلقه السماوات والأرض، الدالة علىٰ كمال قدرته، وسعة علمه ورحمته، وعموم حكمته، وانفراده بالخلق والتدبير، وعلىٰ جعله

الظلمات والنور، وذلك شامل للحسي من ذلك، كالليل والنهار، والشمس والقمر.

والمعنوي، كظلمات الجهل، والشك، والشرك، والمعصية، والغفلة، ونور العلم والإيمان، واليقين، والطاعة.

وهذا كله، يدل دلالة قاطعة أنه تعالىٰ، هو المستحق للعبادة، وإخلاص الدين له، ومع هذا الدليل ووضوح البرهان: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ أي: يعدلون به سواه، يسوونهم به في العبادة والتعظيم، مع أنهم لم يساووا الله في شيء من الكمال، وهم فقراء عاجزون ناقصون من كل وجه". اهـ

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: "بَدَأَ سُبْحَانَهُ فَاتِحَتَهَا بِالْحَمْدِ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَإِثْبَاتِ الْأُلُوهِيَّةِ أَيْ: إِنَّ الْحَمْدَ كُلَّهُ لَهُ فَلَا شَرِيكَ لَهُ فَإِنْ قِيلَ: فَقَدِ افْتُتِحَ غَيْرُهَا بِالْحَمْدِ لِلَّهِ فَكَانَ الِاجْتِزَاءُ بِوَاحِدَةٍ يُغْنِي عَنْ سَائِرِهِ فَيُقَالُ: لِأَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُ مَعْنًىٰ فِي مَوْضِعِهِ لَا يُؤَدِّي عَنْهُ غَيْرُهُ مِنْ أَجْلِ عَقْدِهِ بِالنِّعَمِ الْمُخْتَلِفَةِ وَأَيْضًا فَلِمَا فِيهِ مِنَ الْحُجَّةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَىٰ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ". اهـ

٤- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام:٤٢-٤٥].

علىٰ ما قضاه وقدره من نصر أوليائه وإذلال أعدائه وهذا من أظهر آياته في ثبات الحق ونصره كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر:٥١].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "حَمِدَ اللهُ نَفْسَهُ عَلَىٰ أَنْ قَطَعَ دَابِرَهُمْ لِأَنَّهُ نِعْمَةٌ عَلَىٰ الرُّسُلِ، فَذَكَرَ الْحَمْدَ لِلَّهِ تَعْلِيمًا لَهُمْ وَلِمَنْ آمَنَ بِهِمْ، أَنْ يَحْمَدُوا اللهَ عَلَىٰ كِفَايَتِهِ شَرَّ الظَّالِمِينَ، وَلِيَحْمَدَ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ رَبَّهُمْ إِذَا أَهْلَكَ الْمُكَذِّبِينَ".اهـ

٥- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف:٤٠-٤٣].

بيان عظيم لحمد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نعمه ومننه وكرمه في الدنيا والآخرة، فهم يحمدون الله علىٰ هدايته لهم وتوفيقه وتثبيته وإعانتهم علىٰ العلم والعمل وقبوله حتىٰ أوصلهم إلىٰ جنة النعيم والخير العميم والفضل العظيم فكم له تعالىٰ من نعم ظاهرة وباطنة وخفية وجلية جعلت المؤمنين والملائكة المقربين يحمدون الله في دنياهم وأخراهم حتىٰ أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين يقوم للشفاعة يبدأ بحمد الله وحسن الثناء عليه كما قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي»** متفق عليه.

٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ [يونس:٩-١٠].

وآخر دعواهم قولهم: الحمد لله رب العالمين، لأنها شاملة لجميع ما يثنىٰ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ به.

قال ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: هذا فيه دلالة علىٰ أن الله تعالىٰ هو المحمود أبدا، المعبود علىٰ طول المدىٰ؛ ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره، وفي

ابتداء كتابه، وعند ابتداء تنزيله، حيث يقول تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف:١]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام:١].

إلىٰ غير ذلك من الأحوال التي يطول بسطها، وأنه ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون.

المحمود في الأول و[في] الآخر، في الحياة الدنيا وفي الآخرة، في جميع الأحوال؛ ولهذا جاء في الحديث: « **إِنَّ أَهْلَ اَلْجَنَّةِ يُلْهِمُونَ اَلتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ كَمَا يُلْهِمُونَ اَلنَّفْسُ**» وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون من تضاعف نعم الله عليهم، فتكرر وتعاد وتزاد، فليس لها انقضاء ولا أمد، فلا إله إلا هو ولا رب سواه.اهـ

٧- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد:١٢-١٣].

فيه دلالة علىٰ تسبيح الكائنات بحمد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ وجه يعلمه الله شاهدة لله بالوحدانية، حامدة له علىٰ صفات الحمدانية، وقد صح عن عبد الله بن الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: «**سبحان الذي يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته**».

٨- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ

ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم:٣٥-٤١].

٩- ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر:٩٧-٩٩].

في هذا بيان للخروج من هموم وغموم الدنيا وأذية الأعداء وهو الجمع بين التنزيه والتحميد مع ملازمة الصلاة والطاعات فينشرح الصدر ويرتاح القلب ويهدأ البال ويقع النصر والظفر؛ لأن من ذكر الله ذكره الله ومن ذكره الله أعانه وسدده وحفظه ووفقه، فكم من بركات في حمد الله عَزَّوَجَلَّ ومنها الزيادة في الخير ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ...﴾ [إبراهيم:٧].

١٠- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ ۙ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل:٧٥-٧٦].

والمعنىٰ: لا يستوي العاجز الناقص مع الكامل، فالحمد لله علىٰ كمال صفاته، كما له الحمد علىٰ بيان هذه الأمثال للناس لإقامة الحجة الرسالية عليهم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: هو مثل مضروب للوثن وللحق تعالىٰ، فهل يستوي هذا وهذا؟

ولما كان الفرق ما بينهما بينا واضحا ظاهرا لا يجهله إلا كل غبي، قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾".اهـ

١١- ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٢-٤٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يقول تعالىٰ: تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن، أي: من المخلوقات، وتنزهه وتعظمه وتجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته:

ففـي كـل شـيء لـه آيـة تـدل علىٰ أنـه واحـد". اهـ

١٢- ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء:٥٢].

حين يخرجون من قبورهم يقولون: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر:٣٤].

١٣- ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء:١١٠-١١١].

لما ذكر الله سبحانه وتعالىٰ اتصافه بالأسماء الحسنىٰ، والصفات العلا، أمر نبيه أن يقول الحمد لله أي: أن الكمال كله لله عَزَّوَجَلَّ، ومن كماله وعظيم صفاته وخصاله أنه لم يتخذ ولدًا ليرثه إن مات، فهو الحي الذي لا يموت، أو يعينه إن عجز فهو الذي لا يعجزه شيء في السماوات، وليس له شريك في ملكه فيشاركه ولم يكن ... من الحاجة والذل بل اتخذ أولياء ينصرهم ويحبهم ويودهم كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ﴾ الآية [الأعراف:١٩٦].

١٤- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف:١-٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إنه تعالىٰ يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتيمها، فإنه المحمود علىٰ كل حال، وله الحمد في الأولىٰ والآخرة؛ ولهذا حمد نفسه علىٰ إنزاله كتابه العزيز علىٰ رسوله الكريم محمد، صلوات الله وسلامه عليه؛ فإنه أعظم نعمة أنعمها الله علىٰ أهل الأرض؛ إذ أخرجهم به من

الظلمات إلىٰ النور، حيث جعله كتابا مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيغ، بل يهدي إلىٰ صراط مستقيم، بينا واضحا جليا نذيرا للكافرين وبشيرا للمؤمنين؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ أي: لم يجعل فيه اعوجاجا، ولا زيغا، ولا ميلا بل جعله معتدلا مستقيما". اهـ

١٥- ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه:١٣٠].

وقد تقدم قول: سبحان الله وبحمده مائة مرة، هذا من حيث اللفظ، وأما من حيث العموم فجميع الأذكار داخلة في هذا المعنىٰ.

١٦- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المؤمنون:٢٣-٣٠].

فقل: الحمد لله علىٰ السلامة من مكر الأعداء، وكيدهم والسلامة من المصائب والمعائب.

١٧- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ٦٠﴾ [الفرقان:٥٦-٦٠].

أي: أقرن بين تسبيحه، وتحميده، وهذا كثير كما تقدم.

١٨- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ [النمل:١٥-١٦].

فيه حمد الله علىٰ جميع فضائله، ومن أعظمها العلم، والدين، والاستقامة، مع أنه محمود علىٰ كل حال، ومما يحمد الله عَزَّوَجَلَّ عليه تفضيل من فضل علىٰ غيرهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولا شك أن المؤمنين أربع درجات: الصالحون، ثم فوقهم الشهداء، ثم فوقهم الصديقون ثم فوقهم الأنبياء، وداود وسليمان من خواص الرسل وإن كانوا دون درجة أولي العزم [الخمسة] ، لكنهم من جملة

الرسل الفضلاء الكرام الذين نوه الله بذكرهم ومدحهم في كتابه مدحا عظيما فحمدوا الله علىٰ بلوغ هذه المنزلة، وهذا عنوان سعادة العبد أن يكون شاكرا لله علىٰ نعمه الدينية والدنيوية وأن يرىٰ جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب بها بل يرىٰ أنها تستحق عليه شكرا كثيرًا". اهـ

١٩- ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٣ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾ [النمل:٥٩-٦٤].

هذا أمر من الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهو أمر لنا أن نحمد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نعمه، علىٰ عباده من النعم التي لا تعد ولا تحصىٰ، وعلىٰ ما اتصف به من الصفات العلىٰ والأسماء الحسنىٰ.

٢٠- ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ [النمل:٩٣].

وهذا أمر من الله لحمده تعالىٰ علىٰ عظيم رفع الجهل عن عباده بآياته الكونية والشرعية الدالة علىٰ عظيم قوته وقهره وعلمه وحكمته وغير ذلك من شأنه تعالىٰ، وهو مع ذلك محمود في الدنيا والآخرة من نفسه وغيره.

٢١- ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦٥ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ٦٦ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ٦٧ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٦٩ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠﴾ [القصص:٦٥-٧٠].

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ حمد لله بهذا الذكر العظيم بألوهيته، وله الحمد أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وعلىٰ كل حال علىٰ عدله وفضله وحكمه وعلمه.

٢٢- ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٦٣﴾ [العنكبوت:٦٣].

قل الحمد لله علىٰ هدايته وتوفيقه للفهم والعلم وعلىٰ نعمه الكثيرة، وأكثر الناس لا يعلمون ذلك ولذلك يكفرونه.

٢٣- ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم:١٧-١٨].

دليل علىٰ تعين ذكر الله وحمده في جميع الأوقات حتىٰ يكون الذكر مستوعب للفرد في جميع شأنه، ومن أفضل ذلك المحافظة علىٰ أذكار الصباح والمساء.

٢٤- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان:٢٥].

٢٥- ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥-١٧].

٢٦- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سبأ:١-٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر تعالىٰ عن نفسه الكريمة: أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة؛ لأنه المنعم المتفضل علىٰ أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك، الحاكم في جميع ذلك، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص:٧٠].

ولهذا قال هاهنا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الجميع ملكه وعبيده وتحت قهره وتصرفه، كما قال: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل:١٣].

ثم قال: ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ ، فهو المعبود أبدا، المحمود علىٰ طول المدىٰ. وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، ﴿ ٱلْخَبِيرُ﴾ الذي لا تخفىٰ عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء.

وقال مالك عن الزهري: خبير بخلقه، حكيم بأمره. اهـ

٢٧- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر:١].

٢٨- ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر:٣٤].

٢٩- ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢].

٣٠- ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر:٧٣-٧٥].

٣١- ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر:٧٥].

٣٢- ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر:٧-٩].

٣٣- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر:٥٣-٥٥].

٣٤- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر:٦٤-٦٥].

٣٥- ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الشورى:١-٥].

٣٦- ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

٣٧- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق:٣٨-٣٩].

٣٨- ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [الطور:٤٧-٤٩].

٣٩- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾ [التغابن:١-٤].

الْآيَاتُ الَّتِي جَاءَ فِيهَا اِسْمُ اللهِ الْحَمِيدِ

٤٠- (١) ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم:١].

٤١- (٢) ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ [الحج:٢٤].

٤٢- (٣) ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦٤﴾ [الحج:٦٤].

٤٣- (٤) ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾ [لقمان:٢٦].

٤٤- (٥) ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦﴾ [سبأ:٦].

٤٥- (٦) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر:١٥].

٤٦- (٧) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى:٢٨].

٤٧- (٨) ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحديد:٢٤].

٤٨- (٩) ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ [الممتحنة:٦].

٤٩- (١٠) ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج:٨].

٥٠- (١١) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ [النساء:١٣١].

٥١- (١٢) ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود:٧٣].

٥٢- (١٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة:٢٦٧].

٥٣- (١٤) ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم:٨].

٥٤- (١٥) ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان:١٢].

٥٥- (١٦) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۖ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [التغابن:٦].

٥٦- (١٧) ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت:٤٢].

مَعْنَى اِسْمِ اللهِ (الْحَمِيدِ وَالْمَجِيدِ)

قلت في الكتابي "القول الأسنىٰ في معانىٰ الأسماء الحسنىٰ" (٦٥ص و ١٢٣ص):

"**(الحميد)**: ورد في القرآن محلى بالألف واللام في عشرة مواطن، وذكر مجردًا عنها في سبعة مواطن، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: ١].

(**الحميد**): ذو المحامد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له حمدٌ من ذاته وله حمدٌ من صفاته وله حمدٌ في أفعاله فهو محمودٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في جميع شأنه على عدله وفضله، وجميل ذاته وفعله.

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "(**الحميد**) في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها، وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل، والعدل.

فالحمد كثرة الصفات والخيرات، فهو (**الحميد**) لكثرة صفاته الحميدة.

وهو سبحانه حميد من وجهين:

- **أحدهما:** أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده.
- **الثاني:** أنه يحمد على ماله من الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا". اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وهُـوَ الحَميـدُ فَكُـلُ حَمـدٍ وَاقـعٍ ... أو كَـانَ مَفروضًـا مَـدَى الأزمَـان
مَـلأَ الوجُـودَ جَميْعَـهُ ونَظَيـرَهُ ... مِـن غَيـرِ مـا عَـدٍّ ولا حُسْـبَان
هُـوَ أهْلُـهُ سُـبْحَانَهُ وبِحَمْـدِهِ ... كُلُّ المحَامِدِ وَصْفُ ذِي الإحسَان

***

(**المجيد**): قال تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج: ١٥]، ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: ٧٣] ذكر في موطنين من القرآن، أحدهما محلى بالألف واللام.

(**المجيد**): الواسع، وفي قراءة: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ الْمَجِيْدِ﴾ بالكسر تكون صفة للعرش الواسع، فما الكرسي فيه إلا كحلقة في فلاة، وأما على قراءة الرفع فـ(**المجيد**) اسم لله عَزَّوَجَلَّ، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في مسلم: «**إذا قال العبد**: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة:٤] يقول الله: «**مجدني عبدي**»؛ لأن الميم والجيم والدال تدل على السعة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

هُـوَ المَجِيـدُ صَـفاتُهُ أوصَـافِ تـع ... ظِيمٍ فَشَأنُ الوَصفِ أعظَمُ شَـان".

اهـ

ثَنَاءُ اللهِ عَلَى الْحَامِدِينَ لَهُ

٥٧- (١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة:١١١-١١٢].

٥٨- (٢) ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء:٧٨-٧٩].

قلت في كتابي القول المؤصل على هذه الآية :

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ لزوال الشمس وقيل لغروبها، فالدلوك الميل والشمس تميل إذا زالت وغربت، والحمل علىٰ الزوال أولىٰ القولين لكثرة القائلين به، ولأنا إذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها، فيدخل فيه صلاة الظهر والعصر ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ ظهور ظلمته، وغسق الليل يتناول المغرب والعشاء ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ صلاة الفجر، ﴿إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ أي: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: « **يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ** » متفق عليه.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾ أي: قم بعد نومك، فالتهجد لا يكون إلا بعد النوم، وكانت صلاة الليل فريضة على النبي ﷺ، وعلى الأمة، في الابتداء كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل: ١ - ٢]، ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الأمة بالصلوات الخمس، وبقي الاستحباب: في قوله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ [المزمل: ٢٠] وبقي الوجوب في حق النبي ﷺ على قول بعض أهل العلم ﴿نَافِلَةً﴾ زيادة ﴿لَّكَ﴾ على سائر الفرائض، وذهب قوم إلى أن الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الأمة، فصارت نافلة، وهو قول مجاهد وقتادة، لأنَّ الله تعالى قال: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ ولم يقل عليك، لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه، وهذا أظهر والله أعلم، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ﴾ يوم القيامة وعسى من الله تعالى موجبة ﴿رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، مقام الشفاعة العظمى إذ يحمده فيه الأولون والآخرون.

❖ومن فسره بأن الجلوس علىٰ العرش فهو تفسير باطل للنصوص التي جاءت مصرحة بأنه الشفاعة، وهو تفسير الصحابة.

فعن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَىٰ النَّبِيِّ** ﷺ، **فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ المَقَامَ المَحْمُودَ**» أخرجه البخاري.

وفسرها جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالشفاعة، ففي صحيح مسلم عن يزيد الفقير، قَالَ: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَىٰ النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَالِسٌ إِلَىٰ سَارِيَةٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ.

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللهُ يَقُولُ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ [آل عمران:١٩٢] ، وَ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة:٢٠]، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: «**أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ** عَلَيْهِ السَّلَامُ - **يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ** ﷺ **الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ**»، قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ، وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ، - قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ - قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، قَالَ: - يَعْنِي- فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ، قَالَ: «**فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ**».

والأخبار في الشفاعة متواترة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة.

وهي أنواع:

- **فمنها الشفاعة العظمىٰ:** وقد اتفقت الأمة علىٰ إثباتها، ومن أدلتها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: « **أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ.**

فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ.

فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ.

فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَىٰ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ.

فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَىٰ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ.

فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الأنبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي.

ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابُ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ» متفق عليه.

- **ومنها الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد** ﷺ: فعَنْ أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**» أخرجه الترمذي(٢٤٣٥) وغيره.

وتقدم في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله** .

وفي حديث أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لأنها أَعَمُّ وَأَكْفَىٰ، أَتَرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ**» أخرجه ابن ماجه.

- **ومنها الشفاعة في فتح باب الجنة:** فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**» أخرجه مسلم.

- **ومنها الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب ولا عذاب:** كما هو الحال في عكاشة ابن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

- **ومنها الشفاعة في رفع درجات المؤمنين في الجنة:** وهذه يثبتها المعتزلة والخوارج.

- **ومنها الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب:** عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**».

ذَمُّ مَنْ يُحِبُّ الْحَمْدَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ

٥٩- (١) ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران:١٨٨].

قلت في كتابي القول المؤصل على هذه الآية :

"﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ يا محمد ومن معك ﴿ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾ من القبائح، والشرور، ﴿ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ﴾ أن يثنى عليهم ﴿ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ بما لم يقوموا به من الخير، وإنما هو من التشبع ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ فلا تظن أنهم ﴿بِمَفَازَةٍ ﴾ بنجاة، وفوز ﴿ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

۞ وقد اختلف السلف في تفسير هذه الآية: فذهب بعضهم إلى أنها خاصة باليهود، وذهب بعضهم: إلى عمومها، ولا بأس بالاستدلال بعمومها، وخصوصها.

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**» متفق عليه.

وَعَنْ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ مَرْوَانَ، قَالَ: **اذْهَبْ يَا رَافِعُ - لِبَوَّابِهِ - إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْ: لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا فَرِحَ بِمَا أَتَى وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ، مُعَذَّبًا لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ.**

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ الْآيَةِ؟ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ تَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ **هَذِهِ الْآيَةَ، وَتَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ:** ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «**سَأَلَهُمُ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ، إِيَّاهُ وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَخَرَجُوا قَدْ أَرَوْهُ أَنْ قَدْ أَخْبَرُوهُ بِمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ وَاسْتَحْمَدُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ، وَفَرِحُوا بِمَا أَتَوْا مِنْ كِتْمَانِهِمْ إِيَّاهُ، مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ**» **متفق عليه.**

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فِي عَهْدِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا إِذَا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، وَحَلَفُوا وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا» فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ "

أخرجه البخاري (٢٧٧٧) . اهـ

الْآيَاتُ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٦٠- (١) ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران:١٤٤].

قال ابن القيم في جلاء الافهام: وَالْفرق بَين لفظ أَحْمد وَمُحَمّد من وَجْهَيْن أَحدهمَا أَن مُحَمَّدًا هُوَ الْمَحْمُود حمداً بعد حمد فَهُوَ دَال علىٰ كَثْرَة حمد الحامدين لَهُ وَذَلِكَ يسْتَلْزم كَثْرَة مُوجبَات الْحَمد فِيهِ وَأحمد أفعل تَفْضِيل من الْحَمد يدل علىٰ أَن الْحَمد الَّذِي يسْتَحقّهُ أفضل مِمَّا يسْتَحقّهُ غَيره فمحمد زِيَادَة حمد فِي الكمية وَأحمد زِيَادَة فِي الْكَيْفِيَّة فيحمد أَكثر حمد وَأفضل حمد حَمده الْبشر، والوجه الثاني: أن محمدا هو المحمود حمدا متكررا كما تقدم وأحمد هو الذي حمده لربه أفضل من حمد الحامدين غيره فدل أحد الاسمين وهو محمد علىٰ كونه محمودا ودل الاسم. الثاني وهو أحمد علىٰ كونه أحمد الحامدين لربه". اهـ

٦١- (٢) ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف:٦].

٦٢- (٣) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢﴾ [محمد:٢].

٦٣- (٤) ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح:٢٩].

٦٤- (٥) ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠﴾ [الأحزاب:٤٠].

فهرس المحتويات

المحتويات

مقدمة..... ١٠

تَعْرِيفُ الْحَمْدِ..... ١٢

مَعْنَىٰ الْحَمْدُ لِلهِ..... ١٣

عِظَمُ شَأْنِ كَلِمَةِ الْحَمْدُ لِلهِ..... ١٤

أَصْنَافُ مَا يُحْمَدُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ..... ١٦

وَمِنْ الْفُرُوقِ بَينَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ..... ١٩

بَيَانُ أَنَّ كَلِمَةَ(الْحَمْدُ لِلهِ) مُسْتَغْرِقَةٌ لِكُلِّ كَمَالٍ..... ٢٢

التَّفَاضُلُ بَينَ قَولِ (الْحَمْدُ لِلهِ) وَلَا إِلهَ إِلَّا اللهِ..... ٢٣

بَيَانُ خُطْبَةِ الْحَاجَةِ..... ٢٤

مَوَاطِنُ الْحَمْدِ..... ٢٦

أَكْمَلُ صِيَغِ الْحَمْدِ..... ٢٨

آيَاتُ الْحَمْدِ فِي الْقُرْآنِ..... ٤٩

الْآيَاتُ الَّتِي جَاءَ فِيهَا اِسْمُ اللهِ الْحَمِيدِ..... ٧١

مَعْنَىٰ اِسْمِ اللهِ (الْحَمِيدِ وَالْمَجِيدِ)..... ٧٤

ثَنَاءُ اللهِ عَلَىٰ الْحَامِدِينَ لَهُ..... ٧٦

ذَمُّ مَنْ يُحِبُّ الْحَمْدَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ..... ٨٣

الْآيَاتُ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ٨٥

دار الحديث بالغيضة